ـ هذا الغبي ... إنه يسعى لقتل نفسه ...

وافق وليد على كلامها ، فقال :

ـ نعم ... إنه ينتحر ...

توقف أفراد القوة عن إطلاق النار ، فقد كانت إشارات اللاسلكي تنقل الأوامر بين أحد رجال القوة الأشاوس والمفتش جميل حين قال :

ـ إنه أمام الباب انقض عليه ... الآن ...

واندفع الرقيب أحمد بكل قوته ودفع أمامه المجرم الخطير حيران الذي وقع أرضاً وقد سقط رشاشه الحربي من يده .. بل وقع بعيداً عنه ، وقبل أن يحاول النهوض كان رشاش الرقيب مسلطاً نحوه ... وبجانبه يقف المفتش جميل والنقيب إبراهيم وعدد من أفراد القوة ... نظر حيران حوله ، وقد أسقط في يده ، عندما سمع أوامر المفتش وهو يقول :

ـ إرفع يديك عالياً ... فوق رأسك .. ستنال العقاب الذي يليق بأمثالك أيها المجرم ...

قام أفراد القوة بتكبيل يديه بالأغلال وهو يقلب فيهم بصره بلؤم وخبث ، وقال موجهاً حديثه للمفتش جميل :

ـ تركت لك أرض الوطن كلها ، ورضيت بهذه البقعة الصغيرة من

الصحراء المقفرة . . . وها أنت خلفي . . .

أجابه المفتش جميل بحزم وثقة :

ـ إن يد القانون طويلة وقوية يا حيران . . . لن تفلت منها قبل أن تنال ما تستحقه من عقاب . . . والآن خير لك إرشادنا إلى مكان الذهب أم أنك تفضل أن نعثر عليه بأنفسنا ؟؟ . . .

رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وقال بتهكم :

ـ ذهب ؟ . . . الذهب هنا متوفر بكثرة يا جناب المفتش . . . لكنه بعيد المنال فلا تتعب نفسك وتتعب أفراد القوة ، بالبحث عنه . . .

اشتد غضب المفتش وقال :

ـ خذوه . . . فتشوا المنزل بدقة ، وكذلك جواره . . .

حاول بعض أفراد القوة ، بناء على أوامر المفتش ، الانتقال بالمجرم إلى إحدى السيارتين ، وما أن شاهده الأذكياء حتى اندفعوا نحو المنزل مهللين، فقلت ليلى :

ـ قبضوا عليه . . .

كان فصيح ، كالعادة ، أول الواصلين إلى مكان تواجد القوة ، فلما سمع النقيب إبراهيم يقول :

ـ سر أمامي يا حيران . . .



هتف فصيح :

- حيران . . . حيران . . .

تسمر المجرم في مكانه وهو ينظر إلى مصدر الصوت من فوقه ، فنهره النقيب إبراهيم بقوله :

- سر أيها المجرم . . .

كرر فصيح :

- حيران مجرم . . . حيران مجرم . . .

قبل أن يتحرك المجرم ، كان الأذكياء قد وصلوا إلى مكانه ، فرماهم بنظرة غاضبة وقال مهدداً متوعداً :

- الويل لكم . . . هذه هديتكم لي . . . لو وقعتم بين يدي يوماً . . .

انكمشت ليلى في مكانها خائفة ، وقد أرعبها منظره . . . بينما قاطعه وليد بقوله ، وهو يلوح أمام وجهه بقبضة يده وقد ضمها :

- آه . . . لو سمحوا لي بتأديبك . . .

بينما أجابه حيران بسخرية :

- طمعتم بالحصول على ما لدي من ذهب . . . ها هو الذهب أمامكم . . . اغترفوا منه جهد طاقتكم . . .

ثم تعالت قهقهاته الشيطانية . . . فيما أجابه خالد بكبرياء :

- لم نهتم يوماً بما لديك من ذهب . ولم نقصد الغدر بمن عرفناه . . . ولكنه الشعور بالواجب . . . كل من يمد يده إلى ثروة الوطن وتراث الأجداد نحن له بالمرصاد . . . سنقطع كل أيدٍ شريرة . . .

أراد خالد الاسترسال في الحديث ، لكن ظهور المفتش جميل ، وأمامه أربعة رجال ، يحمل كل اثنين منهم صندوقاً ثقيلاً ، أسكت خالد وأدهش الجميع ، فيما أمات الضحكة الساخرة التي ذابت عن شفتي المجرم النذل . . . بادره المفتش بقوله :

- وجدناه يا حيران . . . لك تهنئتي على حسن تمويهك لمكانه . . .

ثم توجه المفتش جميل بالحديث إلى النقيب ابراهيم ، بقوله :

- إبراهيم . . . لقد عثرنا على المستودع الذي أودع فيه ذهب أجدادنا بعد أن أضاع الكثير من قيمته الأثرية . . . فقد صهر منه الكثير ليصنع أعمدة منزله هذا . . .

فغر جميعهم أفواههم، واستولت عليهم الدهشة والحيرة. . . ولم يبق فرد منهم لم تجحظ عيناه . . . ولسان حالهم يقول : يا له من مجرم داهية . . . ترك الذهب أمام الجميع ولم يتبادر إلى ذهن أحد أن يمد يده إليه وهو على هذه الهيئة ، وبهذه القذارة . . . لا بد أنه ابتكر طريقة

لإظهاره وكأنه من الحديد المتآكل ... عديم القيمة ...

تقدم الكثيرون منهم وحكوا بعض الأعمدة ليتأكدوا من حقيقة الأمر ... فيما كان المفتش ينهي الإجراءات القانونية الخاصة بتوقيف المتهم ، وتوجه الجميع بعدها إلى سياراتهم ... وهناك ، أصدر المفتش أوامره بضرورة التزام الحذر والحيطة ، ... وفي هذه الأثناء سمع المغامرون النقيب إبراهيم يبدي إعجابه بهم عندما قال :

ـ أهنئك يا سيدي ... لقد أحسنت فعلاً بتربية هؤلاء الأذكياء ...

هتف فصيح بحماس :

ـ عاش الأذكياء ... عاش الأذكياء ...

* * *

تمت





برهوم: ليس مجلة، وليس قصصاً منفصلة. انه حكاية برهوم، متصلة متتابعة في حلقات شهرية، بدأت «دار النفائس» بإصدارها مع مطلع العام ١٩٨٢م بإشراف عدد من الاختصاصيين.

قياس الكتاب ٢٠×٢٧ سم
عدد الصفحات ٢٠
مصور وبالألوان

رقم: 20/63 - 82

لئن كانت غاية القصة «البوليسية» جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .


في قصتنا «البوليسية» هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من : « المغامرون الأذكياء » :

١ - واحة الاشباح
٢ - العصابة الخفية
٣ - بائعة الورد
٤ - خمسة جنيهات ذهبية
٥ - بيت الاسرار
٦ - سجين القلعة
٧ - سر العصافير
٨ - الكنز الاغريقي
٩ - تاجر المجوهرات
١٠ - عش الثعلب
١١ - مغامرة في الصحراء
١٢ - بائع الناي
١٣ - رسول منتصف الليل
١٤ - المهرب المجهول
١٥ - السجين الهارب
١٦ - القصر المهجور
١٧ - الكرة الحمراء
١٨ - مروض الحيات
١٩ - المجوهرات العائمة
٢٠ - منزل من ذهب
٢١ - المنطاد الأسود
٢٢ - الانتقام الرهيب
٢٣ - المناكب الحمراء
٢٤ - الطائرة الفضية
٢٥ - رسالة بمجهول
٢٦ - الحقيبة السوداء
٢٧ - السائح المزيف


BLUE BIRD
Scan By : M.Raafat & Rabab


Arab Comics.net
و بلـو بيرد
عرب كوميكس
M.Raafat
تحيا مصر



سلسلة

المغامرين الأذكياء

مَنزلٌ مِنْ ذَهَب

٢٠

دار النخائس



منزل من ذهب

بسم اللہ الرحمن الرحیم



المغامرون الأذكياء

مَنزِلٌ مِنْ ذَهَبٍ

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير واشراف
نعيم زرزور

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب. ١٤/٥١٥٢
فاكس: ٨٦١٣٦٧ - هاتف: ٨٠٢١٥٢
أو ٨١٠١٩٤ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
الطبعة الثالثة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

رحلة مدرسية

رجع خالد وعصام ووليد الى خيمتهم ، في المعسكر الذي أقامته مدرستهم في المنطقة الجنوبية . . . فقد اعتادت إدارة المدرسة القيام برحلات تستمر الواحدة منها أسبوعاً ، إلى المناطق الجغرافية المميزة بآثارها ومصانعها ومزارعها . . . وكان اختيارهم هذه المرة ، مناجم الذهب الشهيرة . . .

كانت الشمس تميل الى المغيب خلف الأفق اللامتناهي والذي تلون بلون برتقالي يميل الى الحمرة . . . لقد كان يومهم شاقاً ، أبدى خالد رأيه بما تمتعوا به حين قال :

- يا لها من رحلة رائعة . . .

كان عصام يتخفف من ملابسه بعد أن ارتمى على جانب الفراش في زاوية من زوايا الخيمة . . . قال بأسف :

- لست أدري لماذا منعونا من إحضار بنادق الصيد معنا . . . هل رأيتما الأرانب الكثيرة . . . لم تكن تخشى الاقتراب منا . . .

مد وليد فراشه وتمدد عليه دون أن يخلع ملابسه ، فقد كان أشدهم إرهاقاً ، فقال متأففاً يرد على كلام خالد : . .

ـ لست أدري أي شيء فيها يستحق الوصف بالروعة . . . هل هو ذلك الجوع الذي يكوي المعدة ؟ هل هذا من خصائص الرحلات ؟؟ . . .

كان تعليق وليد مثيراً لضحكهما، بينما استمر وليد في سخطه قائلاً :

ـ أم تراه ذلك العبد الضخم الجثة ساكن الكوخ الحديدي ؟؟ . . .

أجابه عصام على الفور :

ـ معك حق . . . يا له من رجل مخيف . . . يدهشني كيف يعيش هذا الرجل في مثل هذا المكان النائي ؟؟ . .

علّق خالد على كلامهما بقوله :

ـ إنه الولاء الفطري للأرض . . . ألم تسمعا ما قاله الاستاذ ، إنه ولد هنا من أبوين كانا يعملان في المنجم ، وظل في المنزل الذي تركاه له بعد موتهما لا يبرحه ؟ أذكر قوله إنه يقيم هنا منذ خمس وأربعين سنة . . . تصوروا ؟ . . كيف قضى كل هذه السنوات وحيداً في هذا الكوخ النائي المصنوع من حديد صدىء ؟؟ . . .

قال عصام ، كأنما يتابع حديث خالد :

ـ عرفنا أنه يشرب من البئر المجاورة للمنجم، ولكن ما يحيرني هو: من أين يأتي بالطعام ؟؟ . . .

تحرك وليد عند ذكر الطعام ، فقال ؛ وهو الشغوف به :

ـ ألم تلاحظا هذا الجيش من الأرانب التي ترتع حرة في هذه المنطقة ، وتلك القطعان من الماعز البرية ، والغزلان الجميلة تجوب البوادي المحيطة

بالكوخ من كل ناحية . . . ؟

أجابه خالد مؤكداً ما ذهب اليه ، فقال :

- لا شك أنها تقصد منابع الماء . . . وهنا البئر بجوار المنجم هو مقصدها . . . من المؤكد أنه يصطاد منها ما يقيم أوده ويسد جوعه . . .

كان عصام يستمع الى حديثهما وبعد برهة قال :

- معكما حق . . . فقد شاهدت قرب الكوخ أربع عنزات ضخمة من تلك الماعز البرية . . . ليس بعيداً أنه يدجنها ليقتات من حليبها ولبنها . . .

قال وليد متنهداً :

- ولكنها حياة خشنة لا هناء فيها . . .

قاطعه عصام ليقول :

- إنها على خشونتها لذيذة محببة . . . على الأقل يشعر الإنسان معها بكامل حريته فهو سيد نفسه ، . . . بل سيد كل ما يحيط به . . .

عاد وليد للدفاع عن وجهة نظره فقال :

- مهما كانت مغريات حياة كهذه فأنا لا أطيق العيش في ظروف مشابهة ولو ليوم واحد . . .

كان خالد شارداً يفكر في أمرٍ ما ، فيما كان عصام يتساءل مع وليد . . . فقال :

- هل تظن أن عمي المفتش جميل يسمح لنا بزيارة هذه المنطقة في الإجازة

الصيفية ؟؟ . . . الصيد هنا وافر ، بل وافر جداً ، وكذلك فالبحر لا يبعد كثيراً عن هذه المنطقة . . .

عبر وليد عن سروره بالفكرة ، فقال متحمساً :

- هذا أمر معقول . . . أذهب أنا لاصطياد السمك فيما أترك لكما صيد الأرانب والغزلان والماعز البرية . . .

ابتسم خالد وعصام لهذه الفكرة ، وكيف أن وليداً يتهرب من صيد البر مفضلاً عليه صيد البحر ، فقال خالد :

- لو أنك أجهدت نفسك قليلاً ، وثابرت على التمرين ، كما فعلنا أنا وعصام ، ما كنت اليوم أقل براعة منا في صيد البر . . .

اعتدل وليد في جلسته ، ولوح بقبضة يده ، وقال :

- يكفيني التدرب على الملاكمة . . . أم يجب أن أقضي حياتي كلها في التدريب . . . من الملاكمة الى الصيد . . . أف . . .

أحس خالد بالنعاس يداعب جفونه ، وكان عصام قد استقر في فراشه هانئاً ، يتابع حديثهما ، فيما كان وليد يتخفف من ملابسه ليرتدي ثياب نومه عندما قال خالد :

- دعونا ننام الآن . . . إنني جد مرهق . . .

كان التثاؤب يقطع حديث عصام وهو يقول :

- تصبحون . . . على خير . . .

كانت خيام المعسكر تطفىء أنوارها ، واحدة تلو أخرى ، قبل أن تصدح صفارة المشرف على أمن المعسكر معلنة نهاية السهرة . . . أما في الخارج ، فقد بقي نفر من التلامذة ، هم المكلفون بالحراسة الدورية ساعة بعد أخرى . . ينعمون بعدها بقسط من الراحة ليتولى غيرهم تأدية واجبه . . .

* * *



الشيخ مرجان

في صباح اليوم التالي ، وقف الاستاذ المشرف على تنظيم الرحلة ، يشرح لتلامذته برنامج اليوم الأخير ، ويزودهم بالارشادات اللازمة ، فقال :

ـ ستشاهدون اليوم سير العمل داخل المنجم ، والمراحل التي يمر بها المعدن قبل تفتيته من الشوائب واستخراج المعدن الصرف . . . أرجو ان تحافظوا على النظام ، كما كنتم في الأيام السابقة ، فلا تلمسوا شيئاً . . . فالمعدات والآلات خطيرة إجمالاً ، خصوصاً بالنسبة لغير المتمرسين على استعمالها . . . والأهم أن مسَّ أي أداة لا يليق بتلامذة مؤدبين من أمثالكم . . .

أمام مدخل المعسكر ، كانت سيارة المدرسة الكبيرة تنتظر وصولهم لتقلهم الى موقع المنجم الذي يبعد قرابة خمسة كيلو مترات . . وهناك ، في المركز المخصص لحراسة المنجم ، اعترض سيرهم الحارس المختص وطلب منهم تقديم الترخيص بالزيارة ، دقق فيه جيداً . . . وبعدها سمح لهم بمتابعة سيرهم . . .

وقع بصرهم على عمال المنجم ، يدفعون عربات صغيرة محملة

بأحجار مختلفة الاحجام ، تسير على زوجين من الخطوط الحديدية يبدأ الأول ، عند نهاية الآخر ، من أمام آلة ضخمة ، يلقي كل عامل حمولة عربته في مكان خاص فيها . . . وسرعان ما يعود ، بهمة ونشاط ، لإحضار المزيد من الحجارة . . .

اقترب من سيارتهم موظف مختص ، واستقبلهم بترحاب ، بعد أن تبادل مع الاستاذ المشرف حديثاً قصيراً وترجلوا وساروا قليلاً يرافقهم المرشد يشرح لهم مراحل العمل مرحلة بعد أخرى ، ويرد على استفساراتهم حول ما يشاهدونه في أرجاء المنجم المترامية الأطراف . . .

شاهدوا عن بعد كيف يكسر الرجال ، بأدوات خاصة ، الاحجار ، وكيف يتولى بعضهم نقلها الى العربات . . . إلى أن تصبح في الخارج ، في الموضع المخصص لها . . .

اقتربوا أكثر من تلك الآلة الضخمة التي تصدر صوتاً مزعجاً . . . إنه صوت طحن قطع الصخر تمهيداً لنقلها ، آلياً ، إلى حوض كبير الحجم تتم فيه عملية تركيز الذهب بعد ذوبان التراب وانجرافه مع المياه المنسابة الى أحواض أخرى . . . في القعر ، تسنى لهم مشاهدة طبقة لماعة من الذهب الأصفر المائل إلى الحمرة ، . . . ويتكرر الأمر في عدة أحواض متشابهة ، وإن اختلفت أحجامها وتنوعت اختصاصاتها حتى يتخلص الذهب الخام من نسبة كبيرة من الشوائب التي كانت مختلطة به أصلاً . . . وبعدها ينقل ما تجمع منه الى المصهر لتحضيره على شكل سبائك معدة للاستعمال . . .

كانوا يتأملون كل شيء ، ويسعون الى استيعاب كل كلمة يتلفظ بها المرشد ، ولكنهم التفتوا معاً عندما سمعوا الاستاذ يتساءل بدهشة :

- من يصدق أن هذا المنجم يعطي منذ سنوات وسنوات ؟؟ سمعت أن مناجم شهيرة ، في أماكن كثيرة من العالم ، نضب معينها وكفت عن العطاء منذ عدة سنوات . . . بينما لا زال هذا المنجم يعطي بسخاء . . .

انتبه المرشد لسؤال الاستاذ ، فتولى شرح هذه الظاهرة ، قال :

- هذا يتوقف على كمية ونوع عروق الذهب التي تضرب جذورها في باطن الأرض . . . فأحياناً تمتد العروق في اتجاه معين ، سواء يميناً أو يساراً او حتى الى باطن الأرض . . . على سبيل المثال ، فقد كان مدخل المنجم الحالي ، هذا ، قرب المكان الذي أقمتم فيه معسكركم . . . ولا شك انكم لاحظتم وجود معدات الحفر والمصهر القديم هناك . . .

كانوا ينصتون باهتمام الى شرح المرشد ، عندما التفت الاستاذ حسن ، المشرف على الرحلة ، وسألهم :

- هل يود أحدكم الاستفسار عن ناحية معينة ، أو نقطة غامضة ؟؟

تقدم أحد الطلاب ، ورفع يده طالباً الإذن بالكلام ، فسمح له الاستاذ فقال :

- وماذا يحدث بعد صهر الذهب ؟؟

أجابه المرشد على الفور :

- بعد الصهر ، يوضع الذهب في خزائن حديدية أعدت لهذه الغاية ،

فمتى حصل العدد المطلوب ، أي حوالي مئة سبيكة ، ترسلها إدارة المنجم إلى العاصمة ليودع في خزانة البنك المركزي للدولة . . .

تساءل طالب آخر :

- وهل تفي هذه الطريقة بالغرض ؟ أظن أنها الطريقة المستعملة منذ القدم ، فهي تعتبر بدائية بعد أن تقدم العلم وتطورت أساليب النقل وكفلت الأمان لكل شيء . . .

نظر الجميع بإعجاب الى هذا الطالب ، فقال المرشد :

- هذا صحيح إلى حد بعيد . . . ولكن ضعف الإنتاج في هذه الفترة لا يشجع على تطوير الأساليب المتبعة في كل عمليات استخراج الذهب . . . فقد تقدر تكاليف التطوير بأضعاف قيمة الذهب المستخرج ، لهذا السبب اكتفت الإدارة بما هو موجود . . . ولكن قد تتطور الأساليب تبعاً لتوسعات المشروع الجديدة . . .

تساءل وليد بدهشة :

- وهل هناك اكتشافات جديدة تدعو إلى التوسع في المشروع ؟؟

ابتسم المرشد وهو يجيب عن سؤال وليد :

- نعم . . . لهذا قصة طريفة . . .

سكت المرشد ، فيما كانت أنظار الطلاب شاخصة اليه كأنما تلح في طلب سرد القصة . . . ألم يذكر أنها طريفة ؟؟ . . لم يتأخر المرشد عن تلبية طلبهم ، فتابع قائلاً ؛ وهم ينظرون إليه باستغراب واهتمام :

ـ هل لمحتم الشيخ مرجان ؟ . . . إنه ذلك الرجل ، الاسود اللون ، الذي يسكن غير بعيد عن هذا المكان ؟ . . .

كان كثير من الطلاب يجيبه بالإيجاب ، فاندفع المرشد يتابع حديثه :

ـ هذا الرجل مبارك فعلاً . . . إليه يرجع الفضل في الكشف الجديد . . .

تعالت أكثر من صيحة تساءل :

ـ كيف ؟ . . . كيف ؟ . . .

كانت أسئلتهم تنم عن عدم اقتناع بالتبرك جزافاً بأي شخص في عصر العلم والتقنية الحديثة . . . هل يجب أن نصدق ما يقال بهذا الأسلوب ؟ . . . لكن المرشد لم يتأخر عن سرد القصة طارداً الشك من نفوسهم المتعطشة للمعرفة ، فقال :

ـ كان نفر من علماء الجيولوجيا والتنقيب عن هذا المعدن الثمين يقومون بدراسة تربة المنطقة دراسة علمية وفنية ، يرافقهم مرجان ، هذا ، في جولاتهم يرشدهم الى كل شبر فيها . . . فهو الخبير الملم بمسالك هذه المنطقة . . . فلا عجب منذ زمن يعيش بين رحابها . . . وذات صباح انفرد بأحد العلماء ليقول له هامساً ، كأنما يفضي بسر خطير :

ـ ماذا لو أرشدتكم الى موقع منجم غزير العطاء ، غني التربة بهذا المعدن ؟ . . .

استنكر العالم هذا الرأي في البداية ، ولكنه قرر ، بينه وبين نفسه ،

بأن لا مانع من التجربة . . . وهكذا كان . . . حمل معداته ، وانضم إلى أفراد الفريق ، وساروا يقودهم مرجان عبر مسالك لم يقربوها من قبل ، فدخل في إحدى المغاور المتعددة والمتشابهة المداخل حتى ليصعب التعرف عليها . . . وأخيراً توقف أمام مدخل مغارة ضيق نسبياً ، وأشار بيده على جدارها وقال بثقة :

ـ ها هو الذهب أمام أعينكم . . .

تقدم أعضاء الفريق دهشين ، وأعملوا معداتهم للتحقق مما يرونه أمامهم ، وتأكدوا من صحة كلام مرجان ، وبعد رجوعهم الى المقر الخاص بهم قاموا بإجراء ما يلزم من إبلاغ السلطات المختصة ، وكان أشدهم حماسة ذلك العالم الذي تحدث إليه مرجان ، فاقترح مكافأة له ، تسمية المنجم باسمه . . . منجم الشيخ مرجان . . . وهكذا كان . . .

كانت عيونهم تنطق بالدهشة التي استولت على كيان كل واحد منهم ، فتساءل أحدهم ببراءة :

ـ وهل كافأته الدولة على هذا العمل ؟ . . .

لوى المرشد عنقه وأومأ أن نعم ، وأردف قائلاً :

ـ عرضت عليه السلطات المختصة مكافأة سخية ، ولكنه رفضها بإباء وشمم ، وطلب بدلاً منها تمليكه قطعة الأرض الرملية ، تلك التي شيد عليها منزله العجيب الذي شاهدتم . . .

سأل الاستاذ المشرف مرشد المنجم :

- وهل ساعدته الدولة في بناء هذا المنزل ؟؟ . .

نفى المرشد هذا الرأي ، وقال شارحاً :

- لا . . . لقد بناه بنفسه مستخدماً كل ما وقعت عليه يده من مواد تصلح لعمل كهذا . . . حتى أنه استمر في بنائه مدة طويلة وهو قانع راضٍ بما حصل عليه . . .

ضحك الاستاذ حسن ، وقال معبراً عن وجهة نظره :

- عجيب أمره فعلاً . . . لا شك أنه رفض مشاركة الدولة في البناء بعد أن حققت له مطلبه السابق المتواضع . . .

أجابه المرشد بحماس :

- نعم . . . ورفض كذلك مكافأة من الدولة ، كانت عبارة عن شاحنة تحمل أنواعاً من المؤ ن مما يحتاجه في هذه المنطقة ، على أن تستمر دورياً ، أي كل شهر . . . أعادها من حيث أتت قانعاً بما يتيسر له الحصول عليه من حيوان هذه الأرض . . .

كانوا مشدوهين لهذه القصة ، إنها غريبة فعلاً ، وقد أثارت بينهم موجة من النقاش ، منهم من حكم عليه بالترفع وعلو الهمة ، ومنهم من عرّفه بأنه من الزهاد . . . وكثيرون منهم اعتقدوا أنه مجنون . . . ولكنهم اتفقوا جميعاً على اللقب الذي منحته إياه الجهات المختصة : « الشيخ مرجان » . . .

عند هذه الرواية انتهت رحلتهم ، فاتجهوا الى موقع السيارة ، وهم يتابعون النقاش حول « الشيخ مرجان » وتصرفاته الغريبة . . . وعندما

اتخذوا أماكنهم بداخلها ، كان وليد يجلس إلى جوار عصام ، بينما جلس خالد على المقعد المجاور . . . واحتدم النقاش بينهم ، والموضوع ، الشيخ مرجان ، طبعاً . . . قال عصام بإصرار :

ـ أياً كان رأيك بتصرفاته . . . فلا شأن لي بها . . . كل ما أعرفه انه رجل أمين وشهم . . . أما كان بإمكانه استغلال هذا الذهب لمصلحته الشخصية ؟؟ . . .

أجابه خالد بنفس الحماس :

ـ أنا موافق على هذا الرأي . . . فهو رجل شريف ، وأمين . . . وتستطيع أن تصفه بكل أوصاف النبل والزهد . . . ولكن أن يكون شيخاً مباركاً ، وله بركات تكشف عن الذهب ؟ . . هذه ترهات وخزعبلات لا أصدقها !! . . .

كانت أصوات الجميع في السيارة تتعالى متحدثة بهذا الموضوع ، بينما كان وليد منهمكاً في أمر آخر . . . فقد تدخل في الحوار القائم بين خالد وعصام ، وقال مقاطعاً ، وبلهجة خاصة :

ـ دعونا من الشيخ مرجان وأخبراني . . . ألم تشعرا بالجوع ؟؟ إن معدتي تكاد تتمزق وأنا أتضور جوعاً . . .

ضحكا لمفاجأة وليد لهما بهذا الحديث ، فأجابه عصام :

ـ إن القيام برحلة معك مخاطرة كبرى . . .

استنكر وليد هذا الرأي ، وارتسمت إمارات التعجب على محياه

وأجاب متسائلاً :

ـ معي أنا ؟ . . . ولماذا ؟ . . .

أجابه عصام ببساطة :

ـ لأنك قد تحس بالجوع في أية لحظة ولا تجد ما تأكله فتنهش لحم من معك بأسنانك الحادة هذه . . .

انتهوا من حوارهم عند وصول السيارة الى المعسكر ، عندها قال الاستاذ حسن ، منظم الرحلة :

ـ سنرحل ، بمشيئة الله ، صباح الغد . . فلا مانع من إقامة حفلة السمر الختامية التي قررتم إحياءها . . .

تعالت صيحات الفرح من الجميع ، وانصرفوا إلى خيمهم للاستعداد للحفلة العامرة التي تحمل البهجة والسرور إلى نفوسهم جميعاً . . .

* * *

هدايا متبادلة ؟!؟

دخل الثلاثة إلى خيمتهم وقد قرروا عدم الاشتراك في حفلة السمر الختامية ، وفضلوا عليها القيام بزيارة لذلك الشيخ المزعـوم . . . مرجان . . . كان النقاش بينهم حاداً حول تصرفاته ، فقال عصام متحدياً :

ـ سأقدم له هدية ولن يرفضها !! . . . .

رماه وليد بنظرة ساخرة وقال :

ـ هدية منك ؟ . . . إنسان مثله رفض المال ، والمكافآت . . . وكذلك شاحنة مملوءة بالمؤن شهرياً ، يقبل منك هدية ؟؟ . . . . يا لك من فتى عنيد !! . .

كانت نبرات عصام هادئة عندما أجابه بثقة :

ـ ومع ذلك فلن يرفض هديتي له . . . ستريان كيف يستقبلها شاكراً . . . .

سأله وليد بالحاح :

ـ تُرى . . . ما هي هذه الهدية ؟؟ . . .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على ثغر عصام ، وهز رأسه يعلن رفضه الإفصاح عن الهدية ، وقال :

- لا . . . لن يعرف أحد نوع الهدية إلا عند تقديمها له . . . .

انطلقوا يقصدون منزل الشيخ مرجان ، يتجاذبون ، خلال الطريق ، أطراف الحديث ، حتى إذا اقتربوا من المكان ، لاح لهم من بعيد نور مصباح ينير مقدار نقطة في صفحة مظلمة سوداء . . . وعلى ضوء المصباح الشاحب ، ظهرت لهم أعمدة المنزل وكأنها أشباح تتراقص مع تراقص الضوء الخافت . . . همس وليد قائلاً :

- يبدو أنه نائم . . . أحمد الله على ذلك !!!

اقتربوا من المنزل وسط سكون رهيب يلف المكان ، فقال عصام :

- غير معقول أن ينام في هذه الساعة المبكرة . . . سأقرع الباب . . .

ما كان الباب بحاجة لأن يطرق عليه أحد . . . فقد فتح مرجان بابه عندما رفع عصام قبضته ووجهها إلى الباب ،فألفى نفسه، مع الآخرين ، في مواجهة الشيخ مرجان مباشرة . . . كان متجهم الوجه ، عيونه تنطق بالغضب ، ومما زاد في رعبهم ودهشتهم مما حصل ، نبرات صوته الأجش الذي أطلقها مزمجرة وهو يسألهم :

- من أنتم ؟ . . . ماذا تريدون مني ؟ . . . من سمح لكم بالحضور إلى هنا ؟ . . .

كان يسألهم ويتابع أسئلته دون أن يتمكن أحدهم من الإجابة ، فقد عقدت الدهشة ألسنتهم ، و . . . أخيراً ، استجمع عصام شجاعته وبدأ بالرد ، فقد كان صاحب الفكرة بالزيارة ، وهو من يريد تقديم الهدية ، لذلك قال له ، وقد رسم ظل ابتسامة على شفتيه :

ـ جئنا نحييك قبل مغادرتنا المكان في صباح الغد . . .

قاطعه ساخطاً ، وعاد يزمجر من جديد :

ـ ولماذا تحضرون لتحيتي ؟ . . . هل تعرفوني ؟ هل أنتم أصدقاء لي ؟؟ . . . .

تخلص خالد من الارتباك الذي سببه له كلام الشيخ مرجان فقال معتذراً :

ـ لم نتشرف بمعرفتك بعد . . . وإن كنا نسعى إلى ذلك ، . . . فقد سمعنا عنك الكثير مما حبب إلى نفوسنا السعي إليك للتعرف عليك عن كثب . . .

لاحت على الوجه العابس ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ وماذا سمعتم عني ؟ . . . لا شك أنها القصة المكررة المعتادة . . . قصة اكتشافي للذهب في المنجم الجديد . . . ومعها قصة زهدي ونزاهتي وشرفي . . . إلى ما هنالك . . . أليس هذا ما سمعتموه عني ؟؟ . . . .

كانوا ينظرون إليه وقد فغروا أفواههم دهشة لما سمعوه منه ، وبعد برهة صمت تشجع عصام وأجابه :

ـ وكل هذا الوصف قليل . . . كفاك فخراً أنك جسدت مثال الشرف والأمانة . . . .

مرة أخرى ، ظهر بياض أسنان مرجان من خلال سواد لون وجهه ، وقال :

- وهل تصدقون كل ما يقال ؟ . . . أعني هل كان صدقاً ما سمعتموه ؟؟ . . . .

كان لسؤاله وقع الصاعقة ، جمدوا في أماكنهم وجحظت عيونهم فقد كان كلام مرجان غريباً ، لكنه تابع حديثه ، فقال :

- يقولون ، مثلاً ، أنني شيخ مبارك ، ووليّ من أولياء الله ، مجاب الدعوة . . . فهل تصدقون هذا عني ؟؟ . . .

كانت الحيرة تتملكهم ، بينما ظهرت أمارات الفرح الغامض على وجه خالد ، فقال :

- صراحة . . . هذه النقطة من الأحاديث التي تردد عنك لم يستسغها عقلي . . . قد تكون زاهداً مصلياً ، عابداً لربك . . . ومن كان متمتعاً بهذا الصيت الحسن بين الناس لا بد أن تنسج حول حياته الأساطير . . . .

لم يجبه ، ولكنه عبر عن إعجابه بحسن استنتاجه وسلامة تفكيره بنظرة طويلة متأملة ، وشعاع من الفرح يشع من عينيه . . . إنه أمام فتى ذكي الفؤاد . . . ظل مرجان على تأمله لخالد إلى أن فاجأه عصام بقوله :

- أحضرت لك هدية متواضعة . . . ولكنها على بساطتها نافعة ، وكلي ثقة بأنك لن تردني خائباً وترفض قبولها مني . . . اعتبرها تذكاراً عن هذا اللقاء الذي ملأ نفوسنا سعادة . . .

ملأت الدهشة نفس الشيخ مرجان فيما انتقل ببصره إلى ناحية عصام ،

وأجابه :

ـ هدية ؟ . . . بعد كل ما سمعته عن رفضي لأية هدية ؟؟ . . .

أصر عصام على موقفه متوسلاً أسلوباً رقيقاً ، وهو يقول :

ـ نعم . . . وأنا واثق أنك لن ترفض هديتي . . . في الواقع هي ليست هدية مادية تدعوك لرفضها . . . إنها . . . .

ومد يده إلى وسطه ، وأخرج من تحت ثيابه خنجراً كان يحمله في رحلات الصيد ، وقدمه للشيخ مرجان وهو يتابع كلامه :

ـ ها هي . . . تفضل . . .

تفحصها الشيخ مرجان بعناية ، قلبها بين يديه من كل الوجوه ، ثم قال وهو يبتسم :

ـ إنه خنجر جميل . . . أشكرك على هديتك اللطيفة . . . وسأقبلها منك ولكن بشرط . . .

قاطعه عصام وقد غمر كيانه فرح عظيم لنجاح المحاولة . وقال :

ـ أقبل أي شرط تمليه . . . أنا موافق مسبقاً على ما تقول . . .

غادر الشيخ مرجان المكان ، عاد بعدها يحمل بين يده ثلاث كرات غريبة الصنع . . . قدم لكل منهم واحدة منها وهو يقول :

ـ عثرت على هذه الكرات في إحدى رحلاتي إلى الشاطىء . . . وهي وان كانت عديمة القيمة إلا أنها تحمل نقوشاً جميلة . . . إنها تذكار مني لكم عن هذا اللقاء . . .



أمسك كل واحدٍ بالكرة خاصته ، وراح يتأملها بإمعان ، وعلى ضوء المصباح الشاحب وبمساعدة أناملهم التي راحت تتحسس النقوش ، استطاعوا مشاهدة نقوشٍ جميلة لم يروا مثيلاً لها من قبل ، أو هكذا خيل لهم . . . .

تولى عصام الإجابة عن رفيقيه ، والفرح يغمر كيانه ، فقال :

ـ نشكرك على هديتك اللطيفة . . .

كان مرجان لا زال واقفاً ، فخرج من كوخه المتواضع ، وخرجوا معه ، وهو يقول :

ـ الآن استودعكم الله . . . حان وقت الخروج إلى الصيد ، لا شك أن هذا الخنجر الجميل سيساعد على تقطيع الطريدة وإعدادها للشواء . . .

كانت أنظارهم متجهة نحوه ، وهم يصافحونه مودعين ، وأخذ يرقبهم من مكانه وهم يبتعدون في جوف الظلام الدامس الذي يلف المكان ، بينما ظل هو في مكانه لا يتحرك . . . وأخيراً ، وبدلاً من الخروج إلى الصيد كما ادعى ، استدار ودخل المنزل وأحكم إقفال بابه القوي خلفه . . .

* * *

هدية الشيخ

كانوا في سراهم يسترشدون بالنجم لمعرفة الجهة التي يقصدونها ، يساعدهم كذلك صوت الغناء الجماعي وقرع الدفوف المتعالي من ناحية المخيم ، . . . وصلوا إلى خيمتهم دون أن يفطن إلى غيابهم أحد ، وكان الحفل لا يزال عامراً ، . . . فقال عصام بفرح ، وقد استبد به الفضول لمعرفة نوع النقوش التي تزين كرته :

- سأنتهز الفرصة وأزيل الصدأ عن الكرة . . .

وافق وليد على الفكرة ، وقال :

- أعتقد أن أسهل طريقة لإزالة الصدأ هي فركها بالرمل المبلل بقليل من الماء . . .

انضم خالد إلى الآخرين ، وبدأ العمل الفعلي . . . الثلاثة يفركون بكد واجتهاد . ساعدهم على الانتهاء بسرعة زوال الصدأ عن المعدن الذي ظهرت حقيقته . . . إنه الذهب الخالص . . . كرات من الذهب طرقت بأسلوب فني جذاب يرجع إلى العصور القديمة . . . بل الموغلة في القدم . . . أول من انتهى من عمله ، كان عصام الذي اكتشف الحقيقة فصرخ مبهوراً :

- إنها من الذهب . . .

كان خالد قد انتهى هو الآخر ، فقال موافقاً :

ـ نعم إنها من الذهب . . . ونقوشها تؤكد أنها من عهود قديمة . . . . يا إلهي ما أروعها . . .

كان الحماس يعصف بكيان عصام ، فقال :

ـ علينا توضيح حقيقة أمرها للشيخ مرجان . . . يجب أن نحاول إعادتها إليه إنها ثروة ضخمة لا يجب التفريط بها . . .

أجابه وليد ببرود ، وهو يتأمل النقوش على كرته :

ـ ولماذا نعيدها إليه ؟ . . . أليست هديته لنا ؟ . . . لا يجب إعادة الهدية ، إن عملنا هذا يشكل إهانة لمن أهداها ، مهما كانت قيمتها . . .

قال عصام يدافع عن وجهة نظره :

ـ كان يظنها من الحديد . . . هي عديمة القيمة في نظره إلا قيمة نقوشها . . . على كل حال يجب أن نكشف له عن حقيقتها . . . فلربما كان لديه بعضاً منها . . .

أيد خالد رأي عصام عندما قال :

ـ وربما أهدى سواها لبعض زواره . . .

اغتاظ وليد من إصرارهما على إعادتها ، فقال بحدة وعناد :

ـ . . . ومع ذلك لن أعيدها إليه . . . وحتى لو شئتم إعادتها فكيف يتسنى لكم ذلك الآن ؟ . . . لقد انتهى حفل السمر ، وأقفل المعسكر أبوابه ووزع الأستاذ المشرف الحراس . . . فبأي عذر نبرر خروجنا إلى

الصحراء في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟؟ . . .

أسقط في يد عصام ، فقد كان رد وليد مفحماً أجابه عنه عصام بقوله :

ـ أنت على حق في هذا فعلاً . . . ومع ذلك . . . سنحتفظ بها إلى حين عودتنا إلى زيارته في العطلة الصيفية . . . وعندها سنعيدها إليه حتماً . . .

عاودوا فحص الكرات من جديد ، وكلمات الإعجاب بها تنساب من أفواههم . . . مر وقت طويل دون أن يشعروا بمروره . . . ولما داعب النعاس أجفان خالد ، نظر إلى ساعة معصمه وقال متعجباً :

ـ يا إلهي . . . لقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً . . . دعونا ننعم بقسط من الراحة ، فالرحلة غدا طويلة وشاقة . . .

* * *

بعد الرحلة

كان المفتش جميل على رأس وفد الاستقبال المكون من السيدة سعاد وليلى وكذلك أعضاء السيرك المنزلي : فينو وسرور وفصيح . . . هؤلاء الثلاثة الذين تجاوزوا المفتش ، وكان فصيح أشدهم حماساً ، إذ راح يصيح ويهلل لوصولهم ، وأخذ يصرخ :

ـ خالد حبيبي . . . وليد حبيبي . . . عصام حبـ . . .

كان سرور يتبعه عن كثب ، ولكن ليس من أجل استقبال الرحالة العائدين ، ولكن لينقض بسرعة على عنق فصيح الذي اختفى صوته فصرخ مرعوباً وهو يصفق بجناحيه محاولاً الإفلات . . . فقد تمكن منه سرور هذه المرة ، ولم ينتبه أحد لزجره ، فشفى غليل نفسه ، من مواقف سابقة ، كان فصيح يتغلب عليه فيها . . . هذا ، بينما كان فينو يمسح جسمه بأرجله الثلاث، ويهز ذيله معبراً عن فرحه . . . ينظر إليهم كل بدوره . . .

كان الاستقبال حاراً ، قبّل خلاله خالد والديه وصافح ليلى وكذلك فعل الآخران ، فانتهزت ليلى الفرصة لتسأل خالداً :

ـ كيف كانت الرحلة ؟؟ . . .

تطلع إلى عينيها بنظرة خاصة تنم عما يكنه لها من ود ، وأجاب :

- رائعة يا ليلى . . . ليتك كنت بيننا . . . .

وليد ، كالعادة ، لا يفكر إلا في الطعام وفي مصادره ، فقال :

- لم أشاهد في حياتي مثل هذا العدد الهائل من الأرانب السمينة . . . كانت تتنزه بيننا ، في المعسكر ، وكأنها تتحدانا . . .

أثار كلام وليد ضحكهم ، مما دفع المفتش جميل إلى القول :

- حيثما كنت تجد ما يحرك شهيتك ، فلا تفكر إلاَّ في معدتك ، وكيف تقيم أودها ، أليس كذلك يا وليد ؟؟ . . .

أجابه وليد جاداً :

- صدقني يا عمي . . . لو كانت معنا بنادق الصيد لرجعنا بحمولة معتبرة من الأرانب السمينة تكفي لمدة طويلة . . .

ضحكت السيدة سعاد لطريقة الحديث التي اتبعها وليد ، فقالت :

- في المرة القادمة يا وليد . . . هل هذه آخر رحلة تنظمها إدارة المدرسة إلى تلك المنطقة ؟؟ . . .

أجابها وليد بحماس يعكس أمنيته بتكرار الرحلة :

- لا يا عمتي . . . لا زالت روزنامة الاستاذ تزخر بمواعيد الرحلات وإلى مناطق مختلفة . . . ولكن . . . ما الفائدة وقد حرمنا من حمل بنادق الصيد معنا ؟؟ . . .

تدخل عصام موجهاً كلامه إلى عمه المفتش جميل فقال بجد :

- عمي . . . بصراحة ، إن المنطقة تغري بالقيام بعدة

رحلات ، . . . رحلة واحدة وجماعية لا تكفي للتعرف على كل معالمها وأسرارها . . . .

حمل جواب المفتش جميل ما بعث الأمل في نفوسهم عندما قال :

ـ وما المانع ؟ . . . سنعدل برنامج العطلة السنوية لتخصيص تلك المنطقة بزيارة طويلة الأجل ، فننعم بمناظرها من جهة ، ومن جهة أخرى ينعم وليد بوجبات من لحم الأرانب البرية وغيرها . . . ونحن معه . . .

تنهد وليد بأسف وهو يقول :

ـ معنى هذا أن عليَّ الانتظار لمدة أشهر ، أفكر خلالها بتلك الأرانب السمينة ؟؟ . . .

أغرقوا جميعهم في الضحك ، فيما كانوا ينسلون الواحد تلو الآخر إلى غرفهم لأخذ قسط من الراحة . . . كانت ليلى ترقب تحركات خالد ، فتبعته وهي تقول هامسة :

ـ ما بالك يا خالد ؟ . . . هل صادفكم ما تخفونه عني ؟ . . . لمحت في نظراتك لي أنك تخفي أمراً . . . ما الحكاية ؟؟ . . .

ابتسم خالد قبل أن يجيبها هامساً ، بحذر :

ـ إخفضي صوتك . . . لو سمعك بابا لما تردد لحظة باستجوابنا والسفر إلى تلك المنطقة فوراً . . . حدث أمر غريب ليس وقت الحديث عنه الآن . . . سنخرج في المساء بنزهة وعندها أخبرك بما حدث بالتفصيل . . .

قطع حوارهما الهامس صوت السيدة سعاد منادية ليلى التي قالت :

ـ سأصبر إذن إلى المساء ، وأمري إلى الله . . .

كانت تتكلم وهي تغادر المكان تلبية لنداء السيدة سعاد ، فيما ابتسم خالد وهو يتابع سيره إلى غرفته . . . وبحذر شديد ، حمل كرته الذهبية ووضعها في جيب معطفه الشتوي السميك ، وأحكم إغلاق باب الخزانة عليه ، . . . فهو ليس بحاجة إليه في هذه الأيام ، وهكذا تكون الكرة بعيدة عن متناول الأيدي . . . ثم توجه إلى الحمام لينعم بدوش بارد منعش . . .

اجتمع أفراد العائلة بأكملهم حول المائدة لتناول الغداء ، وأثناء ذلك تشعب بهم الحديث ، وموضوعه المشاهدات التي نعموا بها خلال الرحلة . . . وبعد قليل أصاخوا السمع لحديث وليد الذي أربك ابن عمه ، فقد تطرق في حديثه ، دون شعور منه ، إلى الشيخ مرجان ، إذ قال :

ـ . . . وكان أعجب ما في هذه الرحلة ، بدون شك ، قصة الشيخ مرجان . . .

لمح المفتش جميل ارتباك خالد ، ونظرة التحذير التي وجهها إلى وليد ، ولكنه تجاهل ما حدث ووجه السؤال إلى وليد ، فقال ببراءة •

ـ الشيخ مرجان ؟ . . . يا له من اسم غريب ؟ . . . من يكون الشيخ مرجان هذا ؟؟ . . .

تلعثم وليد ، ولم يحر جواباً ، وظهر الارتباك في تصرفاته ، فقال كمن يتذكر :

ـ هه ؟ . . . الشيخ مرجان ؟ . . . آه . . . نعم . . . إنه شيخ وقور صادفناه في تلك المنطقة . . . .

ابتسم المفتش بمكر ، وعاد يتساءل وكأنه يتابع التحقيق في قضية من القضايا التي يتولى الكشف عن حقيقتها ، فقال :

ـ وهل تستحق مصادفتكم له بالوصف : « بأعجب ما في الرحلة » ؟؟ . . .

تدخل خالد لإنقاذ الموقف ، فهو يعلم أن صمود وليد لن يطول أمام أسئلة المفتش الماكرة . . . لذلك قال ببساطة :

ـ ألم تسمع بقصته يا بابا ؟؟ . . .

انتقل الاستجواب إلى خالد هذه المرة ، فسأله والده :

ـ وهل له قصة ؟؟ . . . ما هي يا تُرى ؟؟ . . .

دب الحماس في أوصال عصام ، فاندفع يجيب عمه بقوله :

ـ إنها قصة إنسان فقير ، ينام فوق جبل من ذهب لا يعرف حقيقته ولا مكانه إلا ذلك الشيخ نفسه . . . ومع كل هذا لم ينجح بريق الذهب الأخاذ في إفساد تفكير هذا الشيخ ، وجَعْلِهِ يتبع مظاهرَ الدنيا البراقة ضارباً بمبادئه التي اعتنقها عرض الحائط . . . دل الخبراء الذين أرسلتهم الجهات المختصة على مكان وجود الذهب . . . ومع كل هذا رفض أن

ينال مكافأة سخية على عمله هذا بالإضافة إلى رفضه كل ما خصصته به الدولة . . .

قال المفتش جميل يتذكر ما حدث :

- آه تذكرت . . . في الحقيقة كان تصرفه يدعو إلى الإعجاب . . . لقد رفض كذلك حمولة شاحنة من المواد الغذائية . . . يقولون إنه رجل زاهد . . . وتصرفاته تدل على شيء من هذا القبيل . . . لقد كتبت عنه الصحف يومها . . . أتذكر ما كتب بخط كبير واضح :

- « أول رجل يبيع منجماً من الذهب الخالص إلى الدولة » بحفنة من الرمال ؟؟ . . .

ظهرت الدهشة على محيا السيدة سعاد ، وكذلك دهشت ليلى التي قالت :

- باع الذهب بالرمال ؟؟ ما معنى هذا الكلام ؟؟ . . .

أجابها المفتش باسماً :

- معناه كما سمعته حرفياً . . . رفض الشيخ مرجان المكافأة السخية ، والمساعدة ، وطالب بقطعة من الأرض الرملية . . . وقد حققت السلطات المختصة له رغبته المتواضعة . . . وأمس قرأت في الصحف قراراً صدر عن الوزارة المختصة بتشيد مسكن لائق للشيخ مرجان ، على قطعة الأرض نفسها . . .

كان عصام شديد التعلق بذلك الشيخ ، خصوصاً بعد نجاحه بتقديم الهدية له ، لذلك تنهد وقال بأسف :

ـ وهل سيهدمون منزله العجيب ؟؟ . . .

نظر إليه المفتش جميل وقال بنبرة تعكس الشك الذي ساوره :

ـ هذا إذا قبل الشيخ مرجان المكافأة البسيطة ولم يضفها إلى قائمة ما رفضه سابقاً . . .

قالت ليلى مستفسرة :

ـ وهل تحدثتم إليه ؟ . . . أعني هل . . .

قاطعها عصام بحماس ، وقال :

ـ أعرف ما تعنين وما ستسألين . . . نعم . . . ذهبنا لزيارته ليلة انتهاء المعسكر وأمضينا معه قرابة النصف ساعة . . .

تفرس المفتش في وجه عصام ملياً ، ثم سأله :

ـ وكيف وجدتموه ؟ . . . هل هو زاهد حقيقة كما تصوره المقالات الصحفية ؟ . . .

زاد اندفاع عصام للحديث عن الشيخ مرجان ، فقال :

ـ بل كريم إلى حد الإسراف في كرمه . . .

ارتسمت علامات الدهشة على وجه المفتش عندما رفع حاجبيه إلى أعلا ، وقال بشك :

ـ وهل تصدقون كل ما يقال ؟ . . . في تلك الأماكن النائية يضخمون الأمور كثيراً . . .

كان خالد يتململ في مجلسه وهو يتابع حديث عصام . . . لقد أوشك

أن يرتكب الخطأ نفسه الذي سبقه إليه وليد . . . حاول خالد عبثاً لفت نظر عصام ليمنعه عن الحديث عما جرى عند الشيخ مرجان ، ولكن . . . كل محاولاته باءت بالفشل . . . وأخيراً تنفس الصعداء ، وحمد الله . . . فقد تدخلت السيدة سعاد لتشارك في الحوار الدائر بينهما ، وهكذا أنقذت أفراد الفرقة من لوم شديد يوجهه لهم المفتش جميل لكتمانهم خبر ما جرى معهم عنه ، ولم يحدثوه به من تلقاء أنفسهم . . . قالت السيدة سعاد متأففة . . .

ـ دعونا الآن من حديث الشيخ مرجان هذا . . . أخبروني. . . هل ستذهبون إلى النادي ؟. . .

تهلل وجه خالد لهذا الانتقال بالموضوع ، فسأل أمه :

ـ وهل ترغبين في الذهاب معنا ؟؟. . .

قالت توضح رأيها :

ـ نعم أود مرافقتكم بعض الطريق . . . لدي زيارة لمنزل خالي . . .

أجابها خالد بفرح :

ـ بكل سرور يا ماما . . . بل نوصلك إلى هناك . . .

قالت السيدة سعاد ، متابعة حديثها :

ـ بشرط أن تصحبوني معكم في طريق العودة أيضاً !!.

راقت الفكرة لليلى ، فقالت :

ـ سأنتهز فرصة وجودك معنا وأعرفك على محل الأقمشة الذي تحدثنا عنه . . .

كان المفتش ينظر إليهم وهو يفكر فيما عساه يفعل ، فقال للسيدة زوجته :

ـ لا داعي للذهاب بصحبتهم ... أفكر في القيام بزيارة خالك ، ونعود معاً من هناك ...

استراح خالد بعض الشيء ، فقدانزاح كابوس ثقيل جثم على صدره لفترة ... فقد توقف الحوار حول الشيخ مرجان ، وبذلك لن يعلم والده أمر ما حدث ... وفجأة ... نظر إليهم المفتش ليقول بحزم كلاماً فأجاهم به :

ـ أعجبتني قصة ذلك الشيخ مرجان ... لنا عودة للحديث عنه بعد رجوعنا ...

* * *

شكوك خالد

غادرت السيارة المرآب ، والأذكياء بداخلها ، تجلس ليلى في المقعد الأمامي إلى جانب خالد الذي تولى القيادة . . . وما أن تحركت السيارة حتى قالت ليلى :

- . . والآن . . . أخبروني ما جرى . . . بتفصيل ودقة !!.

كانت مناسبة كي يقص عليها خالد ، وبأمانة ، تفاصيل ما جرى ، وكانت تصغي بانتباه تام لكل كلمة يقولها خالد إلى أن قال :

- كنت أعرف أنك لن تصبري حتى نعود إلى المنزل كي تشاهدي الكرات الثلاث ، أحضرت كرتي معي . . . إنظري إليها جيداً . . . دققي في نقوشها كما شئتِ . . .

كانت ليلى تتحرق شوقاً لرؤ يتها ، لذلك تفحصتها ملياً قبل أن تبدي رأيها ، فقالت بعد برهة :

- يا إلهي . . . إنها فعلاً رائعة !. . هل تعود الى العصور القديمة ؟؟

أجابها خالد بثقة واستغراب وهو يفكر :

- نعم . . . وهذا هو الغريب في أمرها . . . هل يعقل أن يعثر على ثلاث كرات كلها متشابهة ؟.. وأين ؟.. في رحلة قرب

الشاطىء ؟؟؟. . .

نظر إليه عصام مستغرباً وكانت علامات الدهشة تكسو وجه وليد هو الآخر ، وقال :

ـ ما تقصد بإشارتك هذه ؟. . . هل تسرب الشك إلى فؤادك ؟ كان عصام متحمساً جداً للدفاع عن الشيخ مرجان فقال محتداً ومستفسراً :

ـ هل تشك في كلام الشيخ مرجان يا خالد ؟؟!!.

أطرق خالد برهة يفكر فيما عساه يجيب ، ثم قال :

ـ أنا مثلكم ، لا أعرف عن الرجل سوى ما سمعناه عنه ، ومنه شخصياً . . . ولكن حديثه لم يقنعني . . . والسبب ؟؟. . لست أدري ؟. . .

تدخلت ليلى بالحديث بعد صمت قصير لتقول :

ـ أوضح يا خالد . . . ماذا تريد أن تقول ؟؟. .

أجابها بهدوء :

ـ لست أدري . . . ولكنه مجرد إحساس بأنه يخفي حقيقة أمرٍ ما . . . وأظنه لم يذكر بصدق المكان الذي وجد فيه هذه الكرات الثلاث . . .

اغتاظ عصام لهذا التحول في تفكير ابن عمه خالد ، ولشكه في الشيخ مرجان . . . لذلك قال متهكماً محتداً :

ـ هل يمكنك ، يا سيد خالد ، تبرير شكك هذا ؟ على أي أساس بنيته ؟؟. . .

كان خالد هادىء الأعصاب الى درجة كبيرة ، ولم يفاجأ برد الفعل هذا يصدر عن ابن عمه عصام ، وهو المعجب بالشيخ مرجان ، فقال :

- الأمر لا يحتاج الى درجة كبيرة من الذكاء !!. . . على كل حال ، وقبل أن أتمادى في شكوكي خطرت لي فكرة . . . هل ترافقونني ؟؟

نظروا إليه متسائلين :

- وإلى أين ؟؟. .

أجابهم على الفور :

- سوف أقوم بزيارة إلى المتحف الوطني . . . بعدها يمكنني اختيار أحد سبيلين : إما أن أذهب وأعتذر من الشيخ مرجان عن سوء ظني به ، أو أتمادى في شكوكي بحقيقة أمر هذا الشيخ !!.

أراد عصام الاستمرار بالسخرية والتهكم ،ولكن لم يَنْبِسْ ببنت شفة عندما سمع ليلى تسأل :

- وماذا نفعل في المتحف ؟؟. . . هل هناك صلة تربط بين الزيارة وما نحن بصدد الحديث عنه ؟؟. . .

ابتسم خالد ، وأجاب بنبرة هادئة :

- ولم العجلة ؟ ستعرفون بأنفسكم متى انتهت زيارتنا للمتحف . . .

* * *

في المتحف

كانت زيارتهم للمتحف نوعاً من الاختبار ، لهذا توجهوا اليه وهم يفكرون فيما عساه يحدث . . .

غادروا السيارة المتوقفة في الباحة الخاصة ،.. وعند المدخل استقبلهم أحد المرشدين مرحباً ، وسألهم بأدب جم :

ـ هل تودون القيام بزيارة شاملة لكل المعالم أم لقسم معين ؟؟. . .

أجابه خالد :

ـ بل نرغب في القيام بزيارة قسم معين . . . لا أدري إن كنت سأوفق في التعرف إليه ، مع زملائي ، بدون إرشادك ؟؟

أجابه المرشد والابتسامة الرقيقة تزين وجهه :

ـ لو حددت لي القسم لأرشدتك إليه دون شك . . .

حدد خالد ما يود زيارته بقوله :

ـ أرغب في مشاهدة قسم الآثار القديمة . . .

قال المرشد ، وهو يشير بيده مرحباً :

ـ تفضلوا . . . من هنا . . .

سار الموكب خلف المرشد يعبر عدة ممرات وصالات واسعة تعرض

آثار الحقب المختلفة . . . وأخيراً دخلوا في صالة اصطفت على جوانبها الخزائن بواجهاتها البلورية ، في داخلها معروضات لآثار الحقبة القديمة . . . شرح المرشد المعلومات المتعلقة بمحتوى كل خزانة وبعد لحظات ، كانوا جميعاً مندهشين ، وهم يقفون أمام إحدى الخزائن ، عيونهم جاحظة تتأمل كرات ذهبية تشبه ما لديهم . . .

أصغوا بانتباه إلى ما يقوله المرشد شارحاً ، وقد أشار بيده إلى أنواع من قطع العملة :

- . . أما هذه النماذج فتمثل مرحلة تطور صناعة الذهب . . . على هذه الصورة كانت تصك القطع الذهبية ، ولأول مرة ، في بلادنا . . . كما تلاحظون ، لم تكن كلها بنفس الحجم ، ولا تحمل النقوش عينها . . .

سأله عصام باهتمام :

- وهذه الكرات ؟ . . . ما قصتها ؟؟ . .

أجابه المرشد :

- على هذه الصورة كانوا يرسلون الذهب من مناجمه إلى قصر الحاكم . . وزن الواحدة منها ٦٠٠ غرام . . . تلاحظون مدى الدقة في صناعة هذه الكرات . . . إنها تعكس المهارة وتقدم التقنية التي تطورت معها صياغة الذهب في تلك الحقبة من حقب تاريخنا الزاهر . . .

سأله خالد باهتمام :

- معنى هذا أن هذه الكرات من الذهب الخالص ، هل تم صهره



ونقشه على هذه الصورة بعد استخراجه من المنجم مباشرة ؟؟ . . .

أجابه المرشد ، مع إيماءة من رأسه ، بقوله :

- نعم . . . بعد استخلاص الذهب كان صهره ونقشه يتم مباشرة بعد استخراجه ، على هذه الصورة . . .

فجأة وجه خالد سؤالاً للمرشد ، فقال :

- وهل كانت مناجم الذهب الشهيرة هي المصدر الوحيد له في بلادنا ؟؟

أجابه المرشد . . .

- كان واحد منها هو الأكثر عطاء ، هو . . المنجم الأوسط . . لذلك جعلوه مقر تجميع الذهب وتخزينه حتى يتم استخراج الكمية المطلوبة . . . وعندها تبحر سفينة خاصة الى مقر الحاكم ، تحمل الذهب وسط حراسة مشددة . . .

اختلس خالد نظرة الى وجه ليلى وتساءل ببرود :

- سفينة ؟ . . . لا شك أنها سفينة بحرية ضخمة ؟؟ . . .

استنكر المرشد هذه الإشارة ، وأجابه بحزم وثقة :

- لا يا سيدي !! كان قدماؤنا يستخدمون النهر لتنقلاتهم . . . وهو ، إلى جانب هذا ، يمر وسط المدينة ، مقر الحاكم . . . كان ذلك النهر ، ولا زال ، شرياناً هاماً للمواصلات . . .

مرة أخرى حاول خالد استثارة المرشد بالتساؤلات التي كان يطلقها ، وهو ينقل بصره بين أعضاء الفرقة ، وذلك حين قال ببرود :

ـ كأنهم لم يستخدموا البحر في نقل الذهب !!!

وافق المرشد على تساؤل خالد هذه المرة ، فهز رأسه بالإيجاب وقال :

ـ لم يعثر علماء الآثار على ما يشير إلى سلوك الطريق البحري . . . لا على جدران المعابد ، ولا في الأطلال المتبقية من تلك العهود ، على الطريق بين المنجم والبحر . . . إلى جانب عدم ذكر هذا الطريق في النصوص التي تم العثور عليها ، وتؤرخ لهذه الحقبة بالذات . . .





خطة وليد

انتهى شرح المرشد ، فتقدم خالد وشكره ، وبعده تتابع الجميع يقدمون الشكر له على هذه المعلومات القيمة ، إضافة الى حسن الاستقبال لهم . . . اتجهوا نحو السيارة يلفهم الذهول ، استقلوها ، وقبل أن تتحرك ، بادر وليد خالداً بالسؤال :

- خالد !!. هل تحققت من صحة ظنونك ؟؟

غامت عيون خالد قبل أن يجيب عن سؤال وليد ، وقال بعد برهة :

- نعم . . . رأيتم بأنفسكم تلك الكرات . . . وعرفتم طريقة صنعها ، وكيفية إرسالها الى مقر الحاكم . . . إلى جانب أسلوب نقشها على يد الأقدمين من أجدادنا . . .

وبعد برهة صمت ، تابع خالد حديثه قائلاً :

- وكما سمعنا من المرشد . . . لم يُستخدم الطريق البحري في نقل كمية الذهب المستخرج . . أليس هذا ما حصل فعلاً ؟؟ . . .

أجابه وليد الذي ضاق صدره بما يسمَع

- إلى أين تقودك ظنونك ؟؟ . .

قال خالد ، محافظاً على هدوئه ؛ كأنما يتابع ما بدأه :

ـ إذن ! . . كيف عثر « الشيخ مرجان » على الكرات التي أهداها إلينا . . . كيف وصلت هذه الكرات الى شاطىء البحر ؟ . . من ذهب بها الى هناك ؟ . . . لقد فكرت في الاحتمالات كافة ، فوجدت أنه من المستبعد العثور على هذه الكرات غير بعيدة عن منطقة المناجم . . .

كان عصام يحملق في وجه خالد كالأبله ، إنه يحاول تشويه الصورة الجميلة ، المثالية ، التي رسمها للشيخ مرجان . . . إنه يلغي فكرة الطيبة والتسامح والزهد التي كونها عن ذلك الشيخ ، سأله بصوت متهدج ، مخنوق النبرات :

ـ هل تعني ؟ . . ؟ .

قاطعه خالد بحزم ، فقد عرف من نظراته نحوه بماذا يفكر ، فقال :

ـ نعم يا عصام . . . إن المكان الذي عثر فيه الشيخ مرجان على الكرات الذهبية هو في منطقة المناجم . . . ولا أستبعد أن يكون نفس قطعة الارض التي طلب من الحكومة تمليكه إياها . . .

كان التحليل منطقياً اقتنع عصام به ، فأطلق صفيراً طويلاً ، يعبر عن إعجابه بحذاقة ذلك الشيخ . . . وقال :

ـ يا إلهي . . كيف جنح خيالك الى هذا الحد ؟؟ . . .

أجابه خالد بتردد :

ـ فكرت في الأمر ، بروية وهدوء . . . لفت نظري التناقض بين الحالة التي رضي الشيخ في البقاء عليها ، ورفضه للمكافآت السخية المعروضة عليه . . . هل هو بنظركم أمر عادي ؟؟ . . . مكافأة بهذا السخاء تنشله

من فقر مدقع يعيش فيه يرفضها ؟ أتظن أن الانسان مهما بلغ زهده ، يرفض البقاء والاستمرار في ذلك العيش ؟؟ . . . إن حب البقاء متأصل في نفس الإنسان مهما بلغ زهده . . .

قاطعه عصام ، ليقول :

- لا تدعِ أنك شككت بأمره منذ أهدانا الكرات ؟؟ . . .

كانت نبرات صوت خالد صادقة وهو يصرح :

- حقيقة لم أشك في الأمر من البداية ، . . . ولكن لا اكتمك أنني شعرت أن الامر بدا غير طبيعي بالنسبة لي . . . مجرد شعور . . .

كانت ليلى تتابع باهتمام الحديث الدائر أمامها ، فقالت مستفهمة :

- آه ، فهمت . . . تعني أنه رفض المكافأة حتى إذا ما تقدم بطلب تمليك الارض ، في بقعة رملية لا قيمة لها ، سعت الحكومة الى تلبية طلبه شاكرة ؟؟ . .

كان وليد ، هو الآخر ، يتابع الآراء التي يدلي بها كل منهم ، . . اتسعت حدقتا عينيه وفغر فاه ، وهو ينظر الى ليلى ، متعجباً من هذه الاستنتاجات وربط الأحداث فيما بينها ، وكيف توصلوا جميعاً الى وضعها في تسلسل منطقي مترابط الحلقات . . . كان منظره مثيراً لضحكهم حقيقة . . .

عصام ، من جهته ، طرد الأفكار الطيبة عن هذا الشيخ المزيف وانضم اليهم في الحديث ، فقال متعجباً :

- إن من يقوم بعمل كهذا يجب ان يكون خارق الذكاء . . . داهية . . .

التفت إليه خالد ، وظل ابتسامة يرتسم على شفتيه ، وقال :

- تماماً . . . هذا ما يجب قوله عند وصف الشيخ مرجان . . . إنه ذكي جداً ، وماكر جداً . . . ولو لم تأخذه العنجهية والكبرياء أمامنا ، ويرتكب الخطأ الفادح بإهدائنا هذه الكرات ، لما عرفنا شيئاً عنه ، ولبقي سره خافياً إلى ما شاء الله . . . .

وباهتمام ، وجهت ليلى سؤالاً إلى خالد ، فقالت :

- وما العمل ؟ . . . هل قررتم القيام بخطوة ما ؟ . . . أرى أن نطلع عمي ، المفتش جميل ، على الأمر ، فهو حكيم في مثل هذه الأمور !!.

كانت الحيرة تسيطر على تفكيرهم فيما عساهم يقومون به، لذلك أجابها خالد بقوله :

- فكرت بالقيام بهذه الخطوة ، ولكنني خشيت من عواقبها علينا . . .

سأله عصام :

- أية عواقب تعني ؟؟. . . .

تأمله خالد ملياً ، ثم أجاب باسماً :

- بمجرد أن يعرف بابا بما حصل معنا ، واشتراكنا في المغامرة دون

مصارحته مباشرة فور عودتنا ، هذا السبب سيكون كافياً لإنزال العقوبة بنا . . .

نظر إليه وليد باستغراب ، وسأ ل :

- يعاقبنا ؟ . . . لماذا ؟ . . .

أجابه خالد بحزم وثقة :

- نعم . . . وأول ما يتبادر إلى ذهني من عقابه هو حرماننا من زيارة المنطقة مرة أخرى كما فكرنا . . . .

بدت علامات التفكير على سيماء عصام وسألهم :

- معقول جداً . . . ومع ذلك كيف ستتصرف إذا لم نبلغه بالأمر ؟؟ . . .

نظر إليه وليد مستغرباً كلامه ، وضحك وهو يقول :

- بماذا نتصرف ؟ . . . لقد انتهى الأمر عند هذا الحد . . . ما شأننا نحن بالموضوع ؟؟ لقد عثر مرجان على الكرات في مكان ما . . . أهدانا ثلاثاً منها . . . أين وجدها ؟ وهل كان صادقاً فيما قصه علينا ؟؟ . . . هذا لا يعنينا هل تعتبرون ما قام به جريمة يحاكم عليها . . . لماذا نطلق العنان لخيالنا في أمر كهذا ؟؟ . . .

كانت نظرات الاستغراب تنطلق ناحية وليد ، فهو بعد صمت طويل كاشفهم بما يفكر فيه . . . لذلك أجابه خالد :

- أية جريمة ؟؟ . . . جريمة سرقة الثروة الوطنية . . . إنها ، فضلاً عن قيمتها المادية ، آثار تخص الشعب . . . بل العالم بأسره . . . ثم من

يدري . . . فقد يكون عثر على كمية مَن هذا الذهب . . . هل نتركه يخفيه ؟؟ بل يسرقه ؟؟ . . .

قال عصام :

ـ وماذا يفعل بالذهب إذا أخفاه دون أن يستفيد منه ؟ . . . لقد رأيناه كيف يعيش في قلب الصحراء كما تعيش الكلاب الضالة . . .

كانت هذه النقطة هي ما يشغل بال خالد ، لذلك أجابه موضحاً :

ـ هذا ما يدل على درجة الدهاء والمكر اللذين يتمتع بهما . . لقد أحاط نفسه بهالة من الغموض . . . وأثبت أنه رجل صالح ، لا مطامع لديه سوى تلك القطعة من الأرض . . . إنه بهذا يصرف الناس جميعاً عن حقيقته ، ويبعد الشبهات عن نفسه بهذه الحياة البائسة التي يحياها . . .

قالت ليلى :

ـ للأمر شقان ، قد يكون تحليلك سليماً ، وكذلك يحتمل أن يكون كل ما حدث مصادفة لا أكثر . . .

عادت نبرة صوت عصام تعكس الثقة التي يحملها لشخص الشيخ مرجان ، لذلك أيد حديث ليلى بقوله :

ـ يؤيد هذا ، كما قلنا ، الشك فيما يطمع إليه مثل الشيخ مرجان هذا . . . هل تكون لديه كمية من الذهب ، كما تقدر ، وينتظر الفرصة السانحة لمغادرة المنطقة وبعدها يحيا برفاهية وأمان ؟ . . . أم أنه ،

فعلاً ، بريء وزاهد . . . ألا نظلمه بتفكيرنا السيء عنه . . .

تدخل وليد بما يدور من أحاديث ، فجأة ليقول :

- خطرت لي فكرة رائعة . . .

وقبل أن يتم حديثه ، نظروا إليه بدهشة . . . فتابع :

- . . . سنسلم القضية لعمي جميل دون أن يعرف دورنا فيها . . .

سأله عصام بتهكم :

- كيف يتم هذا يا حضرة العبقري . . . نطلع عمي على القضية دون أن يعرف أننا أصحاب العملية ؟ . . . تكلم يا حكيم زمانك . . .

أجابه وليد بعصبية :

- لا داعي للسخرية . . . خاصة من سيادتك ؟؟ .

تدخلت ليلى مؤنبة ، فقالت :

- هل تتركان المناقشة فيما يجب القيام به للتلهي بهذه المشاحنات الصبيانية التي لا تفيد ؟ . . . تكلم يا وليد . . . كيف يمكننا تنفيذ ذلك ؟؟ . . .

تمالك وليد نفسه وقال :

- نرسل له رسالة نوضح فيها كل شيء . . . وبالطبع لن نوقع عليها . . .

قاطعه خالد سائلاً :

- وهل تظن أن أبي سيصدق ما يحمله خطاب غفل من التوقيع ؟؟ . . .

حك وليد مؤخرة رأسه ، وتظاهر بالتفكير فيما عساه يقول ، وأجاب :

ـ طبعاً . . . إذا أرفقنا بالخطاب الكرات الثلاث ، والتي تساوي ثروة . . . هل تظن أنه يتجاهل مضمون الخطاب أو يشك بصدق مرسله ؟؟

تناسى عصام سخريته ، وقد راقت له الفكرة ، بل تحمس لها ، فقال مؤيداً :

ـ رائع . . . رائع جداً . . . لا مناقشة بعد الآن . . . سنعمل على تنفيذها . . .

قال خالد باستسلام :

ـ لا بأس . . . فوراً يبدأ التنفيذ . . .

تساءلت ليلى :

ـ هل سترسلونها كطرد بريدي ؟ . . . ألا تخشى عليها من الضياع ؟؟ . . .

نظر إليها خالد بإعجاب وقال :

ـ هذا صحيح . . .

كانت الفكرة قد اختمرت لدى عصام وأعجب بها ، لذلك قال :

ـ إذن نسلمه إياها يداً بيد . . .

تأملوه بدهشة واستغراب ، فتساءلت ليلى من جديد :

ـ ماذا ؟ . . . تسلمها له باليد ولا يعرف أننا مرسلوها ؟؟ كيف

يحدث هذا ؟؟ . . .

أجابها وهو يقلب بصره في وجوههم جميعاً :

ـ لنعد الآن إلى المنزل . . . عندها تعرفون ما سنفعله . . .

تحركت بهم السيارة ، ولكنهم لم ينتظروا الوصول إلى المنزل حتى يعرفوا تفاصيل الخطة ، . . . أمام إلحاحهم ، أجاب عصام :

ـ نضع الكرات داخل صندوق ، ومعها الرسالة ، وبعد تغليف الصندوق نقدمه لعمي مع الإدعاء بأن شخصاً لا نعرفه حضر أثناء غيابه ، فطلب منا تسليمه إياها . . .

كانوا ينصتون باهتمام ، ويفكرون بما قال . . . لذلك كانوا صامتين جميعاً مما دفع بعصام ليسألهم :

ـ ما رأيكم ؟؟ . . . .

اندفع وليد بعفويته المعهودة . وأجابه بحماس :

ـ وهل هناك رأي بعد هذا التخطيط الرائع ؟ . . . أسرع يا خالد . . . علينا الانتهاء من هذا الأمر الليلة . . .

وصلت بهم السيارة إلى المنزل ، فأسرع كل واحد منهم لتأدية دوره . . . أحضرت ليلى الصندوق الملائم ، وانهمك خالد وعصام بتدبيج الرسالة ، طباعتها على الآلة الكاتبة . . . بينما اكتفى وليد بإحضار المغلف والشريط اللازم ووقف يتأملهم جميعاً بزهو . . . إنهم ينفذون ما خطط له ، ولأول مرة . . .

انتهوا جميعاً من أعمالهم ، فتنهدوا بارتياح . . . وبعد برهة قال عصام :

ـ لنحمله الآن إلى غرفة الجلوس بحيث يجده عمي عند عودته . . .

نفذوا ما اقترحه عصام وجلسوا بعدها متظاهرين بمتابعة برامج التلفزيون . . .

اقترب سرور ، وكان يراقب كل شيء قاموا به ، منذ البداية ، وقبع بهدوء إلى جانب ليلى . . . كان فصيح في مكانه المعتاد ، بعيداً عن متناول يد سرور ، يرقبهم هو الآخر ، ويصغي بانتباه شديد إلى حوارهم . . . فقالت ليلى :

ـ ترى ؟ . . . هل سيصدقنا عمي ؟؟ . . .

أجابها وليد بحماس وتسرع :

ـ ولماذا لا يصدقنا ؟ . . . ليست المرة الأولى التي يتلقى فيها طروداً بهذه الطريقة . . .

عن بعد ، لمحوا فينو يهب مسرعاً من مكانه المفضل . ويهبط الدرج ، عرفوا عندها أن المفتش وزوجته السيدة سعاد عادا من زيارتهما . . .

* * *

واكتشفت الخطة

وقف المفتش جميل أمام مدخل المنزل مفسحاً في المجال أمام زوجته السيدة سعاد لتلج قلبه. . . وشاهدا أعضاء المجموعة في أماكنهم ، ألقيا عليهم تحية المساء فوقفوا وردوها مرحبين . . . تابع المفتش وزوجته سيرهما الى غرفتهما، على غير عادة، فهمس عصام :

- إنها المرة الأولى . . . لم يدخل عمي ، خلافاً لعادته ، إلى هنا قبل الذهاب إلى غرفته لاستبدال ملابسه . . .

قبل أن ينتهي عصام من ملاحظته الهامسة ، أطل عليهم المفتش جميل وقد ارتدى ملابسه المنزلية ، وابتسم وهو يسألهم :

- متى عدتم ؟ . . . هل سأل عني أحد ؟؟ . . .

نظروا جميعهم ناحيته ، فتظاهر عصام بأنه تذكر أمراً فقال :

- نعم . . . هناك من أحضر لسيادتك هذا الطرد الصغير . . .

تأمله المفتش ملياً ، وقد تناوله ، وأخذ يقلبه بين يده ، وابتسم قبل أن يقول :

- ليلى . . . ناوليني المقص . . . يبدو أنه يحوي شيئاً ثقيل الوزن . . .

قص المفتش الشريط ، ونزع عنه الغطاء ونظر إلى ما يحويه . . .
كانت الرسالة أول شيء تناوله من داخله ، ومعه إحدى الكرات . . .
تفرسوا في وجهه لعلهم يستطيعون قراءة تأثير محتوى الرسالة على صفحة وجهه . . . لم تختلج له عضلة ، وظل هادىء القسمات حتى انتهى من قراءة الرسالة . . . وضعها في المغلف بهدوء وعناية . . . ثم انتقل إلى الكرة ، يقلبها بين يديه ، يتحقق من نقوشها ونوع معدنها . . .

دخلت السيدة سعاد ، بعد لحظات ، وهالها الصمت الذي يخيم على الغرفة ، وعلى غير عادة ، اتجهت نحو زوجها وجلست بقربه وشفاهها تردد السؤال :

ـ ما هذا ؟؟ . . .

أعطاها المفتش الكرة ، وتناول أخرى ، وهو يقول :

ـ وصل هذا الطرد وبداخله رسالة مع ثلاث كرات منها ، والمرسل يبلغ حادثة غريبة . . .

تفحصتها السيدة سعاد ، وقالت بدهشة :

ـ إنها من الذهب ؟ . . . أليس كذلك ؟؟

أجابها ببساطة :

ـ نعم . . . وقيمتها الأثرية تفوق أضعاف قيمة الذهب الذي تزنه . . . .

التفت إلى ناحية الأذكياء فجأة ، وقال :

ـ والآن . . . أريد سماع تفاصيل ما حدث . . . ومنكم أنتم . . .

بهتوا جميعاً ، واصفرت وجوه بعضهم ، والسيدة سعاد تتأملهم بدهشة واستغراب شديدين . . . وتساءلت :

ـ منهم ؟ . . . وما شأنهم في هذا ؟ . . . كيف يجيبونك عن أمر لا علم لهم به . . .

ابتسم المفتش جميل وقال بثقة :

ـ بل يعلمونه حق العلم . . يعرفونه جيداً . . .

وتابع وهو ينظر إليهم :

ـ . . . هيا . . . أنا بالانتظار . . .

تبادلوا ، فيما بينهم ، نظرات حائرة ، وعين المفتش تحصي عليهم حركاتهم . . . لم ينطق أحدهم ببنت شفة ، والتزموا الصمت . . . فقال المفتش :

ـ حسناً . . . إذن ، أتولى أنا شرح الأمر . . .

قال هذا ، وسكت برهة ، تشاغل خلالها بتفحص الكرات من جديد فيما كان يختلس النظر إلى وجوههم ؛ ثم تابع :

ـ نفترض أن ثلاثة من الشياطين . . . أعني مثل خالد ، وليد وعصام . . .

وسكت من جديد ، وتحولت نظراته إلى وجه ليلى ، قبل أن يتابع :

ـ وشيطانة صغيرة ، . . . أقول مثلاً . . .

ازداد ارتباكهم ، وأحس كل منهم أن قلبه يكاد يتوقف عن الخفقان ، فيما كانت حلوقهم تجف عند كل مقطع يحدثهم به . . . .

فما عساه يقول ؟ كيف اكتشف ما حصل ؟ . . . كانت عشرات الأسئلة تغزو عقولهم ولم يجرؤ أحدهم على الحديث ، فيما كانت كلمات المفتش تنساب إلى أسماعهم عندما قال :

ـ عليكم أن تدركوا الأخطاء التي ترديتم فيها . . . ومنها أدركت أنكم أنتم ، وليس سواكم ، مرسلو الطرد . . . ومعه الرسالة . . .

كانوا في حالة من اليأس والخجل منعتهم من الكلام ، وكان المفتش قاسياً في حديثه معهم ، فهو لا يرحم مشاعرهم عندما يخطئون بهذه الطريقة . . . . فقال مستمراً في حديثه :

ـ أولاً : هذا الحبل الرفيع الأحمر . . . ما كان عليكم استعماله إن شئتم خداعي . . . السبب . . . بسيط جداً . . . هل تدرون ما هو ؟؟ . . . لا يوجد من هذا النوع من الحبال في البلاد . . . وقد أرسلوا هذه العينة لأعطيها لخالكم توفيق . . . لذلك عندما شاهدت الطرد محزوماً به ، أدركت لعبتكم قبل أن أفتح الطرد . . .

نكسو رؤوسهم جميعاً بخجل ، فقال المفتش متابعاً :

ـ أما الخطأ الثاني الذي ترديتم فيه . . . فهو استعمالكم للآلة الكاتبة التي أحضرتها لكم . . . نسيتم أنني أميز حروفها بسهولة تامة ؟ . . نسيتم أن حروف الألف والغين والفاء لا تظهر بوضوح ؟ . . .

تململ وليد في مكانه . . . وقاطع المفتش بقوله :

ـ عمي . . . إننا لم نقصد . . . .

رماه عمه بنظرة نارية ألجمت لسانه ، وقال بغضب :

ـ لم نصل بعد إلى ما كنتم تقصدونه . . .

قالت السيدة سعاد ، وقد أخذتها الشفقة عليهم :

ـ لماذا لا تسمع تبريرهم ؟. . . ربما . . .

قاطعها المفتش قائلاً :

ـ سأصغي إلى أقوالهم . . . ولكن . . . ليس قبل أن يعرفوا أن تصرفهم هذا كان بمنتهى الغباء . . .

صرخ فصيح على حين غرة :

ـ سرور غبي . . . سرور غبي . . .

ابتسم وليد ببلاهة ، وحاول التحدث إلى عمه من جديد ، فقال :

ـ عمي . . . .

وقبل أن يتم عبارته ، رماه المفتش بنظرة نارية ألجمته للمرة الثانية ، نظرة زادته ارتباكاً وحيرة . . . وتركه المفتش على هذه الحال وتابع :

ـ والخطأ الأهم . . . الفادح . . . الأخطر من سواه هو . . . ماذا يفعل ضابط المباحث عندما يصل إليه مثل هذا الطرد وهذه الرسالة . . . خاصة إذا أرفق بدليل ساطع عن كنز من الثروة الأثرية . . .

اعتقد خالد للحظة أنه يمتحنهم ، فأبرقت عيناه ، وقال :

ـ البصمات . . . أليس كذلك ؟؟. . .

ومضت عينا المفتش إعجاباً بولده ، ولكنه لم يغير لهجته القاسية ، فهز رأسه بالإيجاب وقال :

ـ نعم . . . البصمات !!! كيف تقدمون على عمل كهذا ؟؟ . . .

تمالك خالد نفسه ، وشعر بالحنان تضج به عبارة والده الأخيرة ، فتشجع وقال :

ـ حقاً . . . كنا أغبياء يا بابا . . .

لانت أسارير المفتش القاسية ، وقال بحنان الأب :

ـ نعم . . . أغبياء لدرجة أغضبتني أكثر من المحاولة الساذجة نفسها . . . كيف ؟ وبعد كل التجارب التي خضتم غمارها ؟ . . . كيف تترددون في هذه الأخطاء الفادحة ؟؟ . . .

أرادت ليلى الدفاع عن نفسها وتبرير سذاجة ما حدث ، فقالت :

ـ إن دوري كان صغيراً يا عمي . . . ومع ذلك فإنني أعترف بأن السرعة والارتباك لم تتيحا لنا فرصة دراسة الخطة بعمق أكثر ومن جميع جوانبها . . .

أحستْ السيدة سعاد ، أن في الأمر سراً ، لذلك سألتهم :

ـ بقي أن نعرف هدفكم من عملكم هذا ؟ . . . لماذا لجأتم لإرسال الطرد بدل مصارحة المفتش بحقيقة ما حصل وجهاً لوجه ؟؟ . . .

لم يفسح خالد المجال لأحد بتولي الإجابة ، لذلك قال :

ـ سنجري فيما بيننا حساباً دقيقاً نناقش فيه المتسبب في موقفنا الحرج هذا . . .

ضحك المفتش ، بالرغم منه ، ونظر إلى عصام وقال :

ـ فكرة من كانت ؟ عصام أم وليد ؟؟ . . .

بهتا للمفاجأة ، فقال عصام بتردد :

ـ كيف عرفت هذا يا عمي ؟؟ . . .

ابتسم المفتش جميل وقال :

ـ لمست عندكما الحماس في الدفاع عما حدث ، أحدكما عن الشيخ مرجان ، والآخر عن الخطة . . .

حاولت السيدة سعاد إخراجهم من هذا الجو القاتم ، فقالت :

ـ والآن . . . ماذا ستفعلون ؟؟ . . .

التفت إليها المفتش باستغراب واستنكر تعبيرها عندما قال :

ـ أرى أنك تتحدثين عنا بصفة الجمع ؟ . . . هل تظنين أني سأسمح لهم بالاشتراك في التحقيق في هذه القضية ؟؟ . . . .

أدركت السيدة سعاد أنه ينوي تأنيبهم ، فابتسمت وسكتت ، بينما واجه خالد والده بشجاعة عندما قال :

ـ بابا . . . لقد ارتكبنا أخطاء فادحة بدون شك . . . ولكننا لم نقصد أبداً إخفاء الأمر عنك لفترة طويلة . . .

سأله والده بحذر :

ـ إنك تقول هذا الكلام بعد اكتشافي أمركم ، وإفساد خطتكم الغبية . . .

لم يتراجع خالد ، فقال بهدوء وثقة :

ـ لا بابا . . . لو كان قصدنا ما ذكرت ، لما أرسلنا إليك الكرات

بهذه الطريقة التي أثارت غضبك علينا . . .

ابتسم المفتش جميل ، وهو يتابع تهكمه عليهم :

ـ لا حيلة لكم فيما فعلتم ؟ . . . كنتم مجبرين على هذا ! . . فلا حيلة لكم وأنتم هنا ومخبأ الذهب على بعد عشرات الكيلومترات . . .

لم يتراجع خالد بسهولة ، فكان يفتش عن سبب أو عذر لهم فيما أقدموا عليه ، كان يحك مؤخرة رأسه ، فيما كان المفتش يرقبه باهتمام ، كيف سيجد مخرجاً من هذا الموقف العصيب ؟؟ . . . وبعد برهة قال خالد :

ـ بابا . . . الفضل يرجع لنا في كل ذلك ، رغم ما حصل منا ، لسنا فقط أول من أبلغكم عن الشيخ مرجان . . . إنما نحن المرشدون لكم ، والشهود الأساسيون، بل الوحيدون في هذه القضية . . .

أسقط في يد المفتش ، فانفجر ضاحكاً وبصوت مرتفع ، قال بعده :

ـ يا لكم من شياطين !! . . .

سألته السيدة سعاد :

ـ هل يعني أنهم سيشاركونك في رحلة البحث والتحقيق ؟؟ . . .

هز رأسه باستسلام ، وأومأ برأسه إيجاباً ، فانفجروا ضاحكين ، بدورهم ، وهللوا فرحاً ، وتعالى صياح فصيح . . . بينما كان سرور يرقص فرحاً في نشوة وسعادة غمرت كيان كل منهم . . .

* * *

الشيخ المزيف

كانت سيارة المفتش جميل في مقدمة القوة المهاجمة ، وبداخلها أفراد مجموعة الأذكياء ، بكامل هيئتهم . . . حتى ليلى لم تتخلف عن الحضور رغم عدم اشتراكها في المغامرة من بدايتها . . . في الخلف ، كانت سيارتان للشرطة تتبعانها عن بعد حتى لا تثيران انتباه أحد،كائناً من كان . . . وعندما توقف الجميع حافظوا على الترتيب السابق ، بانتظار أوامر المفتش التي كان يصدرها خلال أجهزة اللاسلكي . . .

أراد المفتش القيام بزيارة الشيخ مرجان ، مع أفراد مجموعة الأذكياء ، بمفرده ، وغير بعيد عن المنزل المقصود ، قال عصام :

ـ عمي . . . ها هو المنزل !!

وأشار بيده يرشدهم . . . أوقف المفتش جميل السيارة التي كان يقودها بنفسه . . . وقال ، وهم يترجلون منها :

ـ تعرفون ولا شك ما هو المطلوب منكم . . . إننا هنا في زيارة خاصة . . . زيارة تعارف بيني وبينه . . .

تقدم عصام بخطى ثابتة ناحية الباب ، وطرقه . . . من الداخل تناهى إليهم صوت الشيخ مرجان الأجش يقول :

ـ من ؟ . . من بالباب ؟؟ . .

أجابه عصام :

ـ أنا عصام يا شيخ مرجان ! !

وعاد مرجان يسأل ويتذمر :

ـ عصام ؟ عصام من ؟

حاول عصام توضيح الأمر ، فقال :

ـ وهل نسيتنا بهذه السرعة ؟ . . كنا ضيوفك منذ أيام قليلة يا شيخ مرجان . .

كان مصدر الصوت يقترب من الباب ، ويسمع بوضوح ، عندما فاجأهم بالجواب :

ـ ضيوفي أنا ؟ . . ومتى حدث هذا ؟ . . .

كان يتحدث إليهم ، وصرير المفتاح في قفل الباب الحديدي يخترق آذانهم . . . انفرج الباب الصدىء عن هامة الشيخ مرجان يقف أمامهم . . . تأملهم برهة كمن يتذكر ، وقال :

ـ انتم ؟ . . . لماذا رجعتم ؟؟

بدون تردد ، أشار عصام ناحية عمه ، المفتش جميل ، وقال :

- جاء معنا عمنا لشكرك على هديتك لنا . . . انه لم يصدقنا فيما قلناه له . . .

التقت نظراتهما الفاحصة ، فحاول مرجان التهرب من نظرة المفتش الثاقبة ، فقال يتساءل :

- لم يصدقكم ؟ . . أعوذ بالله من الكذب والكذابين . . . لم يصدقكم في أي موضوع ؟ . .

لأول مرة خاطبه المفتش بقوله :

- في موضوع الكرات . . . هديتك لهم . . . هل صحيح أنك أهديتهم أياها ؟ . . . صراحة . . . رغبت التأكد بنفسي من صدق أقوالهم ولأتعرف عليك وتقديم الشكر على اهتمامك بهم . . .

ببساطة ، كان مرجان يجيب بقوله :

- شكراً لك . . . إنهم لم يكذبوا فيما قالوا . . . أنا أهديتهم الكرات فعلاً . بعد ان أقنعني أحدهم . . . هذا . . . بقبول هديته لي . . . .

كانت إصبع الشيخ تشير ناحية عصام ، فابتسم المفتش جميل وأجابه :

ـ الآن يمكنني السماح لهم بقبولها . . . شكراً لك . . .

هز مرجان رأسه بورع ، وقال :

ـ الشكر لله وحده . . .

ثم وجه نظرته الى المفتش وسأله :

ـ هل ترغب في شيء آخر يا سيد ؟ . . . عذراً ، فقد قطعت صلواتي عندما طرقتم بابي . . . والآن عليَّ إتمامها . . .

تظاهر المفتش بحب البقاء لأمر خاص ، فقال :

ـ لقد قطعنا مسافة طويلة . . . فنحن نفضل لو انتظرنا قليلاً ريثما يبرد محرك السيارة الذي عمل باستمرار مدة طويلة . . .

هز مرجان كتفيه بدون مبالاة ، وقال :

ـ إذن لا تريدون شيئاً خاصاً مني . . . يمكنكم البقاء والانتظار حيث شئتم ، فأرض الله واسعة ، ولا اعتراض لدي في أي مكان توقفتم ليبرد محركها . . .

كان ينهي عبارته وهو يغلق الباب في وجوههم . . . انتقلوا بأبصارهم ناحية المفتش جميل ، فإذا به متهلل الوجه ، يبتسم ، وقد ظهرت في عينيه تلك النظرة الخاصة التي تشع منها أمام أي عمل جليل يريد القيام به . . . قال لهم :

- هيا بنا من هنا . . .

استقلوا السيارة بسرعة ، أدار المفتش محركها وأصدر منه صوتاً مسموعاً ، ثم اتجه بها في طريق العودة . . . دار حول كثيب رملي وقفت خلفه السيارتان اللتان تحملان القوة المسلحة . . . خفف المفتش سرعة السيارة، وتوقف نهائياً وما كاد يترجل منها حتى أسرع نحوه ضابط برتبة نقيب ، وقدم له التحية العسكرية . . . عندها قال المفتش :

- نقيب إبراهيم . . . حاصروا منزل هذا الشيخ . . . وانتظروا الإشارة مني لبدء الهجوم . . . طلق ناري . . .

سأله النقيب إبراهيم :

- هل يتوقع سيدي مقاومة ما ؟؟. . .

أجابه المفتش بحزم وثقة ، أذهلت كل من سمعه :

- طبعاً . . . ما اعتاد حيران الأسود الاستسلام دون مقاومة . . .

بدت الحيرة على وجه النقيب ، فردد باستغراب :

- من ؟. . من يا سيدي ؟. . .

أجابه المفتش :

- ستعرفه بعد قليل يا إبراهيم . . . الآن كونوا حذرين وتوقعوا منه مقاومة شرسة للغاية . . .

بسرعة البرق الخاطف ، ترجل رجال القوة وانتشروا في المنطقة مشكلين طوقاً محكماً ، أخذت دائرته تضيق كلما اقتربوا من المنزل . . . جرد المفتش جميل مسدسه وقال بصوت آمر :

ـ وأنتم . . . لا تغادروا مكانكم هذا . . . سمعتم ما أقول ؟ . . . حذار الاقتراب من ميدان المعركة . . .

سأله خالد مبهوراً فيما حبسوا جميعاً أنفاسهم :

ـ هل ستنشب بينكم وبينه معركة ؟؟ . . .

أجابه المفتش جميل وقد استدار وبيده اليمنى مسدسه ، وباليسرى حمل مكبراً للصوت :

ـ ستعرفون كل شيء عندما ننتهي . . . حذارِ مغادرة السيارة ؟؟ . .

انطلق المفتش بهمة وثقة مسرعاً نحو المنزل ، وأمام الباب توقف وطرقه . . . وابتعد قليلاً بينما تناهى الى سمعه صوت الشيخ مرجان يسأل :

ـ من بالباب ؟ من ؟ . . .

كان المفتش قد ابتعد عن الباب بما فيه الكفاية ، وقفز خلف كثيب رملي يقيه رصاص حيران الاسود ، وأطلق رصاصة من مسدسه انطلق

أفراد القوة على أثرها يتمركزون في أماكن ملائمة ، وقد أخذ كل منهم وضعاً قتالياً . . . تعالى صوت المفتش ، من مكبر الصوت ، يقول :

ـ حيران الأسود . . . أخرج رافعاً يديك ، بدون سلاح . . . لاجدوى من المقاومة فالمكان محاصر من كل جانب . . .

كان النقيب إبراهيم يصدر أوامره لأفراد القوة ، بناء على تعليمات المفتش جميل الذي كان يجلس بقربه . . . وما أن سمع حيران الأمر حتى انهمر سيل من الرصاص يزرع جوانب المنزل . . يمنة ويسرة . . .

مرة أخرى كرر المفتش جميل النداء :

ـ حيران . . . إنها فرصتك الأخيرة . . . إنك تقضي على نفسك بهذه الطريقة . . . أمامك دقيقة من الآن . . .

كان المفتش يضبط الساعة عندما انهمرت زخات الرصاص الصادرة عن المنزل بكل اتجاه . . .

كانت الاوامر قد صدرت لبعض أفراد القوة والمدربين تدريباً عالياً ، باقتحام المنزل من الخلف ، فيما استمر المفتش بتكرار نداءاته بالاستسلام . . . ومن حوله ، أطلق بعض أفراد القوة رصاصهم في الهواء ، لإخافة حيران ولتغطية تقدم رفاقهم من الخلف . . .

قالت ليلى بخوف وقلق :